ابو الحسن علي الحسني الندوي

مطالبة القرآن

الانقياد التام والاستسلام الكامل

ملتزم النشر والتوزيع
المجمع الاسلامي العلمي
ندوة العلماء، ص، ب: ١١٩ لكناؤ، الهند

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى » ـ لكناؤ (الهند)

رقم - ٢٢٧

★

الطبعـــة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

★

قام بالنشر
محمد غيـاث الدين الندوى

★

بتعـاون
الأستاذ مصلح الدين أحمد
حيدر آباد (الهند)

★

المطبعة النـــدوية
ندوة العلمـاء ـ لكهنؤ (الهنـــد)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة النـاشر

وجـه الاخوان الهنود والباكستانيون الناطقون باللغة الأردية في جدة دعوة إلى سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي خلال زيارته لها ، أن يوجه إليهم خطابا باللغة الأردية ، ويكون هـذا الخطاب خاصالهم ، و قبل سماحة الشيخ الندوي هذه الدعوة مشكورا ، و هو في طريق عودته إلى الهند من المدينة المنورة ، حيث قضى حوالي أسبوع ، بعـــد الاشتراك في دورة المجلس التاسيسي لرابطة العـالم الاسلامي بمكة المكرمة .

ألقى سماحة الشيخ الندوي هذه الكلمة الصريحة ، و الحديث الأخوي في مسجد الجوهرة الفسيح في ٢٧/ نوفمبر ١٩٨٨م بعد صلاة المغرب ، و قـد حضر عدد وجيه من الناطقين بالأردية للاستماع إلى خطاب سماحة الشيخ الندوي ، و استلهم سماحة الشيخ الندوي مـن هذا الجمع الكبير

والمناسبة الخاصة ، و هو يحمل ذكريات مدينة الرسول ﷺ وعواطف الشوق والوجد على الارتحال منها ، فانتهز هذه الفرصة لابراز أهمية المكان ، ومسئولية المقيمين فيـــه ، وخطورة مقامهم ، و دعاهم إلى أن لا تقتصر نظرتهم إلى هذه البلاد كمصدر خير مادى يكسبونه ، وقال إن الله قد أكرم هذه البلاد بالخير الكثير و الثراء العام ، لكن عطـاء هذه البلاد الحقيقى هو العطاء الروحانى ، و العطاء الايمانى ، انها صدرت إلى العالم المنهج الخاص للحياة ، وهى مهد الاسلام ، ومهبط الوحى ، فليكن الهدف الأول من إقامتهم الانتفاع الروحانى بهذه البيئة المباركة ، التى مات كثير من المتيمين بهـا فى الشوق إليهـا ، و لم تتحقق أمانيهم ، فيجب عليهم أن ينتهزوا فرصة الاقامة فى هـــذه الأماكن المقدسة ليصبغوا حياتهم بالصبغة الاسلامية الحقيقية ، و أن يدخلوا فى السلم كافـة ، و فى الوقت نفسه يجب عليهم أن لا ينسوا بلدانهم التى ينتمون إليها ولا يغفلوا قضايا ملتهم الاسلامية .

و أكد سماحته أن الاسلام دين كامل شامل لجميع

مجالات الحياة ، له تعاليم تنطبق على الحياة الفردية ، والحياة الاجتماعية ، و هو عقيدة ، و عبادة وسلوك ، ويدعو إلى منهج خاص للحياة و هذا الشمول هو الذى يدعو إليه القرآن بقوله : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، و لاتتبعوا خطوات الشيطان » .

كانت الكلمة باللغة الأردية ، فنقلها إلى العربية الأستاذ عبد الله محمد الحسنى على رغبة بعض الاخوان العرب ، و فى مقدمتهم فضيلة الشيخ عبد الله على بصفر لتعميم الفائدة ، لأن الكلمة و إن كانت خاصة بالقادمين من الهند وباكستان ، اشتملت على نقط مهمة عن الحياة المعاصرة ، وتهم كل مسلم و خاصة سكان الجزيرة العربية ، كما يجدر الأستاذ مصلح الدين أحمد بالشكر على اهتمامه بطبع الكلمة للتوزيع .

واضح رشيد الندوى
رئيس تحرير صحيفة « الرائد »
ندوة العلماء ، لكهنؤ ـ الهند
١٨/ جمادى الآخرة ١٤١٠هـ
١٩٩٠/١/١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مطالبة القرآن

الانقياد التام و الاستسلام الكامل

أعوذ بالله من الشيطـان الرجيم ، « يا أيهـا الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافـة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ، فان زللتم من بعد ما جاء تكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم[1] » .

إخوانى وأصدقائى ! تلوت عليكم آية من القرآن الكريم تشتمل على إنذار و تحذير ، هل يتصور أحـــد أن يحارب الله و يعاديه ، فـما معنى هـذا الانذار و التحذير ، فهل يقدر عبد من عباد الله على أن يحارب الله ؟ ولـكن القرآن الكريم قد استخدم كلمة تتضمن هذا المعنى ، وهو ما تقشعرمنه الجلود ، و تتصكك لها الآذان ، يقول الله

(١) سورة البقرة ، الآيات - ٢٠٨-٢٠٩

ـ عزوجل ـ وهو خالق الكون ، و مالك الملك و القادر على الاطلاق ، و الذى أنعم فأجزل على عباده : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافـــة » فانه لا قبل لكم أن تحاربوه ، و تبارزوه وتعادوه .

يتبادر إلى الذهن فى بادئ ذى بدء أن تستخدم كلمة « الاسلام » فى موضع السلم ، وهو « ادخلوا فى الاسلام كافـــة » و لكنه أمرهم بالدخول فى « السلم » كافـــة ، و هى أن تكون المعاملة مع الله معاملة استسلام و انقياد ، وخضوع كامل ، بجميع معانى هـذه الكلمات و مقتضياتها ومضموناتهـا ، العقائد ، و العبـادات ، و السلوك الفردى والا جتماعى ، و جوانب الحياة كلها ، موافقة بمـا جاء بها سيد المرسلين ﷺ ، من عند الله رب العالمين ، ومطابقة للأوامر الالهية والأحكام الربانيـة ، ولا تكون العلاقات مبنية على الموالاة لأعداء الله و الخضوع لأوامرهم .

إن كلمـــة الاسلام فى اللغة العربيـة مشتقة من « السلم » و معنى الاسلام هو الانقياد ، والا ستسلام ،

والتنازل عن كل شيئ في حق الله تعالى و أوامره و تعاليمه عن الاهواء، والشهوات، وعن المصالح والأغراض، و عن الشعور بالتمييز بين المنافع والمضار، والا طراح على عتبة الأحكام الربانية بالانقياد التام والا ستسلام الكامل.

أما معنى السلم، فهو الصلح، يقول الله عزوجل في موضع آخر: «و إن جنحوا للسلم فاجنح لها» وجاء «أسالم من سالم وأحارب من حارب» و قد استخدم القرآن الكريم في مواضع مختلفة كلمات تعبر عن الرعب والجلال و الهيبة تنذر وتزلزل، يقول عن الربا:

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقي من الربو، إن كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»[1]

وجاء في الحديث القدسي: «من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب» فانه من المستبعد والمستحيل أن يكون هناك شقي يدور بخلده أن يحارب الله ويعاديه، و لكن

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٨ – ٢٧٩

دراسة نفس الانسان و تجارب الحياة الانسانية والأعمال التي تصدر نتيجة لاغفال التعاليم النبوية ، تدل على أن هناك إمكانيـــة لمثل هذه المعاداة ، فيمكن أن يدعى الرجل الاسلام ، و يعترف بعبديتـه ، ثم يعـادى ربه فى بعض أموره ويخالفه فى بعض أحكامه ، فمثلا يقيم عبـــد من عباد الله علاقـــة العبودية مع الله ـ و لـكن بشيئ من التحفظ ، و يشرك رضاه و هواه ـ فى هذه العلاقة ، أن يشهد أن الله حق . و أن الحساب حق و الحشر حق ، و لـكنه يعيش باستقلال وحرية فى الحيـاة الاجتماعيـــة والأسرية ، و فى الثقافة و المبادئ العامة ، و فى العلاقات مع الأقارب والأصدقاء ، و المعاملات التجارية ، فلا يقبل الله هذه العلاقة المتحفظة المشروطة ، فكأن هذه الآية نزلت لايضاح تلك النكتة ، و فيها عبرة وجرس إنذار لأصحاب مثل هذه العلاقة بالله ، إن الله يقول : « أدخلوا فى السلم كافـة » فان المشاطرة فى هـذا المجال غير مقبولة أن يقول القائل : أقبل هذا ولا أقبل ذاك ، أستسلم لهذا ولا أستسلم

لذاك ، إن الداخل فى المسجد يدخل المسجد بكل جسمه و بكل أعضائه ، فاذا قال القائل انه يضع قـدميه داخل المسجد ، و أما جسمه فيكون خارج المسجد ، أو أنه يطارق رأسه فى داخله ويبق جسمه فى خارجه ، أو قال : إذا أمرتنى بالقيام فعلى الرأس والعين ، و لكن لا يمكن لى الركوع و السجود ، فانى أرى فيه إهانة للانسانية و أشعر بالخيبة والفشل ، و تنازلا عن الاعتزاز و الثقة بالنفس ، فان هذه العبادة لا تستحق أن تسمى بالصلاة ، بل هى كلمة فيها كفر وجحود ، و طريقة فيها طغيان وبغى .

عفوا لو توقعتم أنى سأتلو عليكم البشائر ، أو أقص عليكم حكايات رائعـة للسلف ، أو أبين أما مكم أمورا تطمئنون إليها و ترتاحون بهـا فانه من مواضع الضعف ، إننا نحن المسلمين تعودنا الطمأنينة و التزكية لتلك الحياة التى نقضيها فى هذه الأرض المقدسة نريد أن نسمع كلمات التهنئة و التقـدير و الغبطة ، و إن آذاننا تصغى إلى أصوات الترحيب من كل جانب ، نريد أن نسمع يا مرحبا !

يا مرحبا ، يا للسعادة ! ! ندعو الله أن يرزق لكم الدوام و الهناء فى هذه الأرض المباركة ، فانتم قد حالفتكم السعادة ولاشك فى هذه السعادة .

و قــد تمنى آلاف من الأولياء المقبولين أن يصلوا إلى هذه الأرض المقدسة ويتشرفوا بزيارتها .

إن الامام الهمام المجاهد الكبير الذى اعتنق على يديه أربعون ألف شخص الاسلام ، و بايع على يديه المباركتين ثلاثة ملايين شخص مباشرة ، وعاهدوا على اتباع الشريعة ومجانبة الكفرو الشرك و البدع ، وعلى الجهاد فى سبيل الله ، و أما الذين بايعوا على يدى تلاميذه و خلفائه ، فلا يعــد عددهم ولا يحصى ، ولا يعلمهم إلا الله ، و لم يكن له نظير فى الدول الأخرى فى التأثير والكمالات العملية و العلمية ، و قــد وصل آلاف مؤلفة من العلماء وعامة الناس إلى المراتب العلية و المقامات الرفيعة على يديه ، خلال رحلته الأولى للحج و الزيارة — وكانت الرحلة فى تلك الأيام بالسفن الشراعية — خاطبه أحد رفقائه ، بقوله هذه جزيرة

العرب ، هـــذه هي النخلة تبدو من بعيد ، و أومأ إليها
— لا يعرف أحد أى موضع كان ذلك الموضع من
جزيرة العرب ، و كم كان بعيدا عن تلك البقعة المباركة التى
أصبحت جزيرة العرب من أجلها محبية لدى النفوس وأثيرة
فى القلوب - فعيل صبره بعد سمـاع هذه الكلمات ، وخر
لله ساجدا ، و ركع ركعتين ، شكرا الله تعالى و كان على
الوضوء ، ثم قال : الشكر لله الواحـد الأحـد الصمد
الذى أكرمنا بزيارة هذه الأرض المقدسة ، و قـــد انتقل
إلى رحمة الله كثير من العباد و الزهـاد وبقيت الأمانى
فى قلوبهم لزيارة هذه الأرض المقدسة كما كانت ، و لم
تتح لم فرصة لوضع أهــداب العيون على أراضيها الطاهرة
و غسلها بدموعهم الحارة — فانكم تقولون لو بشرتنا
ورحبت بنـا و دعوت لنـا ليطول بنـا القيام فى هذه
الأرض المقدسة لكان أفضل من أن تنذرنا وتخوفنـا
و تتلو علينا مثل هذه الآية التى يخاطب الله عزوجل بهـا
المؤمنين بأن أمر ناليس كأمر السلاطين و الملوك فى الدنيا

الذين يقتنعون بشئ من المكوس التى تؤدى إليهم ، و بشئ من التوقير و التبجيل الذى يسدى إليهم من رعايا هم ، و بشئ من الخضوع الذى يكون لأبهتهم الملوكية ، و لكن الله الغنى القوى العزيز ، خلق هذا الكون ، وقدر المقادير و الآجال ، و بيده الأمر كله من إنشاء المرض و الصحة و إيصال النفع و الضرر « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، و تنزع الملك ممن تشاء[1] » .

و التاريخ يشهد بأن الحكومات التى طبق صيتها الخافقين و التى يتفاءل بأربابها الذين بهم ينقلب التراب تبرا ، و فى ظلالهم ينقلب الشؤم تفاؤلا و سعداً ، غربت شموسها طرفة عين و جعل الله عزوجل هذه الشموس آفلة لم تطلع بعد على مر الدهور و الأعصار ، إن تاريخ روما الكبرى يشهد كما جاء فى كتاب جبون (GIBBON) « زوال وسقوط روما » (DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE) كيف كانت هذه الدولة ،

(١) سورة آل عمرآن ــ الآية ٢٦

وكيف كانت عظمتها وهيبتها على النفوس، سقطت كما تسقط أوراق الخريف .

اقلبوا صفحات تاريخ الدولة الساسانية كيف كان عهد مجدها، وتقلب ملوكها فى البلاد، « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق[1] » .

يقول الله تعالى إنه لا يجدر الاكتفاء بالصلاة والسجدة لله وبذكر إسمه تعالى فقط حتى تظن إن الله لا يسأل عن الأمور الأخرى شيأ فانه يتحتم عليك أن تدخل فى العبودية الكاملة لى من غير استثناء ولا يقبل أن تقول : إنه لى وهذا لك، إنما لى كل شئ، إن مالك وعرضك، صحتك وجسمك، رأسك وبدنك، إيمانك وإسلامك، وفاءك وفداءك، كله من حقوقنا فانه لاطاعة لأحد إلا لله وبماشاء الله .

تتضمن هذه الآية التى تلوتها أمامكم إنذارا شديدا وتحذيرا عنيفا، ولا أدرى هل تتاح لى فرصة أخرى للقاءكم

(١) سورة سبا، الآية - ١٩

فأبين ما يلقى الله فى قلبى عن هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » فان كلمة « كافة » كلمة شاملة جامعة ، أى استسلموا لأوامره كلها ، برمتها ، و استسلموا أنتم جميعا كذلك له ، فلا يمكن أن ينقاد أحدكم ولا ينقاد الآخرون ، أو أن يطيع أحدكم فى بعض الأمور ويعصيه فى أمور أخرى ، بل كلكم لنا ، و كل مالكم لنا فأطيعونى إطاعة كاملة ، فتكون عقائدكم موافقة بما جاء به الله و رسوله موافقة تامة بدون أى انحراف ، أو عدول ، فليس لأحد الأمر فى هذا الكون ؟ ألا له الخلق والأمر ، واعلموا أنه بيده الخلق والأمر ، و الصحة و المرض ، و بيده الرزق ، و القوة ، و هو المعز ، و هو المذل ، و هو الرزاق ، و هو الذى يؤتى الملك و القوة ، و الغنى ، بيده الخير كله ، و هو على كل شئ قدير ، لا شريك له فى خلقه و أمره ، و فى ملكه ، لا نبى ولا ولى ، و هو القادر على الاطلاق ، ولا يجرأ على الشفاعة عنده أحد إلا باذنه ، و كذلك يجب أن تطيعوا الرسول ﷺ طاعة كاملة ، فالذين يطيعونه فى أمور

و يعصونه في أمور ، فانهم ليسوا من المطيعين للرسول في نظر القرآن « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم[1] » فاذا عرف بسند صحيح ، و طريقة صحيحة معتمدة أنه قول رسول الله وفيه رضاه فلاخيار لأحد فيه ، ولاحرية ، ولا تردد فيه ، إلا أن يطاع الرسول (ﷺ) و يتبع قوله ، و يؤخذبه ، ويعض عليه بالنواجذ .

اسمحوالى ، و دعونى أتحدث بصراحة فانى كطائر وقع على شجرة طور ثم طار فسأطير غداً إن شاء الله تعالى ، و إنى لم آتكم متجسسا ولا منقبا عن المساوئ للاجتمع هنا ، و لكنى لست بعيدا عن تيار الحياة ، و إنما أطلع على ظروف المسلمين و أحوالهم هنا ، و أتابع التيار الذى يجرف هنا ، و لقد شاهدت أن العقائد سليمة صحيحة ، و وجدت مواظبة على الصلوات و الفرائض ، و لكن المجتمع مع الأسف الشديد يميل إلى الفساد ، و أصبحت الحياة المنزلية

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٦

معاكسة للاسلام ، كل بيت مؤثث بغاية من الاسراف و التبذير ، و الترف و البذخ . و بالأمتعة المسلية الملهية كالفيديو الذى أصبح الشغل الشاغل و حديث المحافل ، إننا نحن المسلمين مؤمنون فى المساجد لاشك ، ولا يستطيع أحد أن يقول شيأ عن المساجد ، و هى بيوت الله .

و لكن يا إخوانى ! إن المسلم لا يكون فقط مسلما فى المسجد ، إن المسلم يعيش مسلما فى بقاع المعمورة وأرجائها فى برها وبحرها ، و فى قمرها إذا وصل — و قد وصل إليه بعلم الله وتيسيره للانسان — هو عبد من عباد الله و قد أجمع العلماء على أنه لايسقط التكليف عن أحد ، ولا عن الأنبياء و المرسلين ، و التكليف معناه اتباع الأمور الشرعية و رعاية حدودها ، وجاء فى الآية الكريمة « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » و قد أجمع المفسرون على أن اليقين هو الموت ، فواظب الرسول ﷺ و داوم على الصلوات إلى حين و فاته ، و كان لايزال يسأل — ﷺ — هل صلى الناس ؟ قيل : يا رسول الله ، هم

ينتظرونك ، فقال : ضعوا لى ماءا فى المخضب ، ففعلوا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ قالوا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ! و الناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس ، ثم صلى الرسول ﷺ نفسه ، و قد ثبت سؤاله فى هذا الوقت و وصيته بالصلاة ، و بالعبيد ، و بالأنصار ، ثم كانت آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى » .

و قد بلغ بنا نحن المسلمين الحال إلى أن العقائد إذا كانت صحيحة و سليمة كانت العبادات ناقصة سقيمة ، و إذا سلمت العقائد و صلحت العبادات كلتا هما ، كانت فى المعاملات خنادق كبيرة ، ليست ثلمة واحدة ولا خلل بل خنادق و فجوات و خلجان هائلة .

قلت خلال محاضرة لى فى الشارقة ، أنتم أعرف بهذا الخليج الذى تعيشون على ساحله بالنسبة إلى الآخرين ،

ولكنكم لا تعرفون إلا نوعا واحدا من الخلجان ، و هو هذا الخليج الذى يفصل جزيرة العرب عن إيران و بينهما ماء ، لكن هناك خليجا آخر أكثر خطرا و أطول مدى ، وأشد عمقا من خليجكم وهو الخليج الذى وقع بين الاسلام و المسلمين ، و أن هناك خلجانا و فجوات بين الاسلام و المسلمين فى العقائد و العبادات ، فكم من المسلمين الذين ينطقون بالشها دتين ، و لكن لا علاقة لهم بالصلوات ، و منهم من إذا صلحت عقائدهم و عبادتهم ، و لكنهم يخرجون المعاملات ، والأخلاق و المثل عن حياتهم ، يكذبون ، و يخونون ، ينقصون المكيال والميزان ، يغشون ويحلفون الزور لترويج متاجرهم و سوقهم ، و يغتصبون حقوق الآخرين ، فلا يأخذهم الحياء ، ولا الغيرة ؟ لأنهم لا يعدونها من الدين .

وكم منهم من لا يرعى حقوق الوالدين ، و يدوس حقوق الأهل و العيال ، ولا علاقة لهم بالجيران ، فلاصدق فى قولهم ولا حلاوة فى لسانهم ، يشكوهم من يسكن حولهم

من الجيران ، أو الأقل لا يشكرهم لأجل صنيعهم .

و كم منهم من لا يفرق فى السياسة و المعاملات بين عـدو الله و خليله ، ولا يميز بين الخير و الشر ، ولا بين الصالح و الفاسد ، ولا بين المتدين و الملحد ، و قـد قال الله عزوجل : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار[1] » أى لا تميلوا إليهم ، و قـد استخدم القرآن لفظ الركون و هو أدنى الميل ، فضلا عن الموالاة و المناصرة ، فلاتركنوا ولا تميلوا إلى الذين جعلوا الظلم شعارهم ، وتخطوا حدودهم و جاوزوا خط الا عتدال ، و داسوا كرامة الحقوق ، و جعلوا الدنيـا أكبر همهم ، و مبلغ علمهم ، و تجردت قلوبهم من خشية الله ، و هم أصبحوا عبيد المال و الثروة ، عبيد الدرهم و الدينـار عبيد القطيفة و الخميصة ، عبيد الجاه و المنصب ولا يهمهم إلا شأنهم ، إن كلمة « ظلموا » تشمل هذه الأمور كلها ، ولعل هذه الآية تكون جديدة فى حق بعض المسلمين ، إنها لم تنهـانا عن المبايعة

(١) سورة هود ، الآية - ١١٣

على يديهم و الخضوع أمامهم ، بل نهتنا عن الركون و الميل القليل إلى هؤلاء الذين جعلوا الظلم سمتهم و شعارهم .

فكم من المسلمين من يعتبر هـذه الأمور جزأ من الدين ، إنهم يقولون : إن هذه الأمور من الحياة ، ولا علاقة لها بالدين ، فهات ما عندك من نصائح دينية ، ولو تكرمت ببيان ما هو الأجر و الثواب فى قراءة هـذه الأوراد أو تلك و هـذه الأدعية ، لكنت جديراً بها ، و اطعناك فيها أما مظاهر الحياة و السلوك فنحن أحرار فيها ، نفعل فيها ما نشاء ، لا نفكر بما يلحق الضرربنا أو بديننا إذا قمنا بموالاته ، ولا نكترث بما يأتى به التعسير فى سبيل الدين أو يحدث نقص فيه إذا قمنا بمعاداته ، فاننا نزعم أنه لا علاقة لهذه الأمور بالدين .

إخوانى ! نحن عباد الله فى الأمور كلها ، فينبغى لنا أن نكون ممتثلين للأوامر الالهية و متمسكين بها كليا ، و كذلك يجب أن نكون مهتمين باخواننا المسلمين ، و أن ندعو لعلو الاسلام و غلبته فى العالم و ننصره بفكرنا وجهدنا ،

فلا يجدربنا أن نكون من العباد الزاهدين و من المتدينين المتشرعين من غير الاهتمام بأمر الاسلام والمسلمين ، فلا يهمنا أمر المسلمين أين يذهبون ، و أين يروحون ، و كيف يمتحن الاسلام ، و ما هى القضايا التى يعانى منها المسلمون ، و ما هى الدول التى أصيب فيها الاسلام بالانحطاط ؟ و قد جاء فى الحديث : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، « مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرالجسد بالسهر و الحمى » .

و لقد وسع الله الرزق و أنعم على هذه البلاد ، بارك الله فيها فلا أغتبط فيها ، و لكن يجب عليكم أن يهمكم أمرالمؤسسات فى بلدانكم التى تنحدرون منها ، و أمر الأمة الاسلامية التى تتوجع لأجله ، إنكم تقدرون على أن تحسوا تلك الحرارة التى اشتعلت فى هذه البلاد — بما فيها باكستان و الهند — و أنتم أبناؤها و أفلاذ أكبادها ، ولو رحل إليها عبد من عباد الله الذى رزق فهما

سليما ، و إدراكا صحيحا ليحس تلك الحرارة فى ذلك الجو الذى قام فيها الدعاة إلى الله كالشيخ معين الدين الجشتى ، و الشيخ قطب الدين بختيار الكاكى ، و الشيخ عبد الباقى بأنفاسهم الطيبة ، و يشعر بندى دموعهم الطاهرة فى تلك الأرض و إن كانت فى داخلها ، و أن شجرة الاسلام التى نراها قائمة على قدم وساق ، تورق و تثمر رغم المراحل الصعبة و العقبات التى اجتازتها ، ترجع إلى هؤلاء الدعاة المصلحين ، و نحمد الله عزوجل على بقاءها وازدهارها ، لا بد أن توجهوا اهتمامكم إلى قضايا بلادكم الاسلامية و مؤسساتها الاسلامية ، و أن تفكروا فى مسألة الجيل الناهض و بقائه على اسلامه ، و إذا دبرتم خطة لصيانة أولادكم و هيأتم لهم الجو اللائق فتهنئكم و نرحب بكم ، و لكن لا ينبغى لأحد أن ينسى مولده و وطنه وأقاربه و ذويه .

نشكر الله عزوجل و هو الرزاق ذو القوة المتين يرزقكم هنا و يرزقهم هناك ، و هو قادر على أن يرزقهم أكثر

منكم ، و قد هيأ لكثير من سكان تلك البلاد أضعافا مضاعفة ، فلا ألفت أنظاركم إلى منظمة أو مؤسسة معينة للدعم ، و لكن يجب عليكم أن توجهوا اهتمامكم إلى تلك الملة الاسلامية التى تعيش فى أو طانكم و إلى إيمان النشء الجديد ، و أن تهتموا بما يحيط بها من تحديات ، و يخطط لها من برامج يشاهدونها على الشاشة ، فان مسلسلات راماين استمرت شهورا ، و قد أخبرنى شاهد عيان أنه رأى فى مدرسة أن المصاحف بقيت مفتوحة و هى موضوعة على كراسيها ، و الطلبة غائبون ، و عند ما سئل أساتذتهم أين ذهب الطلبة ؟ قالوا : اليوم يوم الأحد و هو موعد الرواية المسلسلة لراماين ، هذه قصة ولاية « بيهار » التى أنجبت العلامة محب الله البهارى[1] الذى كان رأس العلماء ، وأستاذ العلماء ، و إمام العلماء ، و كم أنجبت هذه الولاية من العلماء الربانيين .

(١) مؤلف كتاب « مسلم الثبوت » فى أصول الفقه ، « و سلم العلوم » فى المنطق ، و قد عكف علماء الهند على تدريسهما و شرحهما ، واعتنى علماء الأزهر بكتاب « مسلم الثبوت » تدريسا واستفادة .

لا بد أن يكون اهتماماً منكم ببلادكم اهتماماً فكرياً ، لا أقول أن يكون هذا الاهتمام اهتماماً اقتصادياً فحسب ، بل يكون عقلياً ، و تكون قلوبكم متألمة على الأحوال و الظروف ، هل يبقى النشأ الجديد على الاسلام أم لا ؟

إن هذه الأرض قد أنجبت مجددين للدين لم تنتفع بهم الهند فحسب ، بل نفع الله بهم العالم ، أستطيع أن أقول فى ضوء التاريخ أن الامام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، المشهور بمجدد الألف الثانى بلغ نفعه إلى تركيا ، و لم يزل تلاميذ تلاميذه موجودين فيها ، سافر الشيخ خالد الرومى إلى دهلى — و قد قيد قصته — فيقول : إنى سألت القافلة التى جاءت من الهند حينما كنت فى مكة المكرمة أيام الحج ، عن الشيخ الكبير غلام على النقشبندى، فأبدوا عدم معرفتهم فقضيت العجب منهم على أنهم لا يعرفون مثل هذا العالم الربانى الجليل ، فسافر إلى دهلى ، و أقام عنده مدة من الزمن ، و قرض قصائد مدحية له فى العربية و الفارسية ، و رجع من الهند بعد إكمال مقصده

و بغيته ، فاستقبلته بلاد العراق على بكرة أبيها ، و تقاطر العلماء عليه كتقاطر الفراش و الهوام على النور للحصول على تلك السعادة التى أتى بها من الديار الهندية ، والاستنارة بذلك النور الذى اكتسبه فيها ، و ساقه إلى بلاده ، هذه هى بلادكم فلا تغضوا البصر عنها .

إخوانى ! إن من أولى الأوليات أن تكون ثقتكم قوية بأن هذا الدين كامل عقيدة فاستمسكوا بها ، لأن الانحراف عنها كالارتداد عن الدين و واظبوا على تلك الفرائض المعينة لأنه لا تكون الشقاوة أكثر منها من أن تقيموا هناك من غير أداء الصلوات و المواظبة عليها و يتحتم عليكم كذلك ان يكون مجتمعكم إسلاميا حتى لا يكون من المعقول أن تقيموا فى هذه الأرض المقدسة ، ويجرى التلفزيون فى بيوتكم كل وقت يراه أولادكم فى أوقات الصلوات ، يقول الله تعالى : « و من الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله[1] » يبدو أن القرآن ترك هذه

---

(١) سورة لقمان ، الآية ـ ٦

الأسماء الفيديو ، والتلفزيون لأنه فى لسان عربى مبين لا يمكن الاتيان بكلمة انجليزية ، لكن من الاعجاز القرآنى العجيب أن الكتاب الذى نزل قبل أربعة عشر قرنا أشار إلى ماينطبق على الجهاز المستعمل اليوم ، ولوقلت : إنه يعنى الفيديو ، و التلفزيون لما أخطأت ، لأنه قال فيه « من يشترى لهو الحديث » فان المتذوقين باللغة العربية و بلا غتها فى كل بلد يتذوقون بـ « لهو الحديث » إن الذوق الأدبى يسوق إلى آفاقها و أبعادها ، فانه يصعب على أن أترجم هذه الكلمة إلى اللغة الأردية بالضبط ، رغم كونى من أبنائها و أصحابها ، ما هى و ظيفة الفيديو ، و التلفزيون ، و ما يشغلهما ؟ إذا كان أحد يعجبه اللعب يشتريه ، فهل لا تدخل فيه هذه الأجهزة ، الفيديو ، و التلفزيون ، التى قيل لها « لهو الحديث » ، ولو ادعيت أن القرن الأول و الثانى إلى السابع و الثامن ، حتى لوقلت إن ذهن أكبر عالم فى العصر الماضى لم ينتقل إليه لما أخطات .

و هذا من الاعجاز القرآنى ، ما هو « لهو الحديث » ؟

هذه المسلسلات المرئية و التصاوير الناطقة ، و الأصوات المسجلة كلها من « لهو الحديث » هل كان فى استطاعة أحد أن يتصور قبل أربعـة عشر قرنا مثل هذا الجهاز حينما لم يحلم به أحد فضلا عن اختراعه و إبداعه ، و لكن كتاب الله قـد قال إن هناك رجالا يشترون « لهو الحديث » و هو اللهو الذى لا يحصل للانسان ولا يملكه إلا بالشراء و بذل النقود .

إخوانى ! قوا أنفسكم وأهليكم منها ، وصونوا بيوتكم على الأقل ، يجب أن تكونوا مسلمين كاملين فى الاسلام عقيدة و سلوكا و إذا ما بلغتم الكمال هنا ، فمن أين يأتى إليكم الكمال ؟ و أقول بصراحة بعد طلب العفو منكم أنكم إذا رجعتم إلى الهند فى إجازة أو إلى أوطانكم شهد غير المسلمين على أن الذين جاءوا هم قادمون من بيئة صالحة مباركة ، لأن سيماهم فى وجوههم من النور ، و حلاوتهم فى نطقهم من العسل ، والاحترام و الحرمة فى عيونهم من الحياء و الحشمة لأنهم جاءوا من الجزيرة العربية ، لا أن يعرفكم

هولاء ويميز ونكم من غيركم أنكم جئتم بالعفش الثمين الزائد ، و الكماليات و التحف فيتبعو كم لا ختطافها منكم ، لا نها ذات قيمة و تجذب الأنظار ، فاذا لابد أن يعرفكم هولاء بسيما وجوهكم و آثار سجودكم ، و نور جباهكم ، و حلاوة نطقكم ، و نصحكم و أناتكم لا من ملابسكم و شنطكم ، ولا بد أن تتغير أجواء بيوتكم و يتأثر بكم أهلكم و عيالكم حتى تجرى فيها تلك السنن النبوية التى لم تكن باقية فيها و أن تتلى فيها الآيات القرآنية التى لم تكن البيوت متعودة عليها حتى يقول هؤلاء ، أن أولئك جاؤا من مكة ، و من المدينة ، و من الأرض المقدسة فلا تشتغلوا بالراديو ، و التلفزيون ، لا أن يقول هؤلاء أن رجالا جاؤا من مكة و المدينة و من عادتهم مشاهدة التلفزيون ، فافتحوا أمامهم الفيديو ، و التلفزيون ، فانه لا يليق بكم ولا بشأن هذه الأماكن المقدسة ، بل هو انتهاك لحرمتها ، و حط من شأنها ، و نيل من كرامتها ، فانه أحرى بكم أن تزيلوا هذه المنكرات الشائعة حتى يستحيوا منكم ، فلا يشتغلوا بهذه الأمور .

وحيثما رحلتم ، فكما أن النور يبدد الظلمات و تتقشع السحب الكثيفة به ، تظهر صوركم كالأضواء النيرة فى بحر الظلمات ، لا بد أن تتغير حياتكم قبل الرحيل من هذه الأماكن المقدسة .

فهل عرفتم كم الناس دخل فى الاسلام بعد صلح الحديبية فى أربع سنوات مابين فتح مكة و حجة الوداع ، يقول الامام الزهرى : إنه لم يسلم فى مكة المكرمة فى ثلاث عشرة سنة و فى المدينة المنورة فى عشر سنوات مثلما أسلم فى فترة صلح الحديبية ، فبين سبب هذا الاسلام أن الباب فتح عليهم بعد صلح الحديبية فجاء رجال من قريش من مكة إلى أقاربهم فى المدينة المنورة فشاهد أهلهم لياليهم فتحيروا و قالوا إنهم فى عالم غير ذلك العالم ، انهم يستيقظون مبكرين و معهم صبيانهم لا يعرفون اللغو فضلا عن الكذب ، لا ينطقون إلا بذكر الله و رسوله ، إنهم يطعمون أضيافهم إيثارا و ينومون أطفالهم جائعين ، فتسارعوا إلى الاسلام لأنهم شاهدوا صورة الاسلام النيرة

بأم أعينهم .

إخوانى ! يجب أن ينتشر بكم الاسلام فى أوطانكم و إذا قمتم لهم بالمراسلات الخطابية وبالعلاقات الأخرى أو قابلتموهم بالذهاب إليهم ، فكان و قعكم عليهم طيبا ، يظنوا أنكم جئتم من تلك البلاد ببركات و رحمات ، و رافقتكم نفحاتها الطيبة المباركة .

لا أريد أن أطيل عليكم فينبغى أن ترتسم هذه الآية الكريمة على ألواح قلوبكم : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ، فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم » إن القرآن الكريم أتى بلفظ « خطوات » جمعا ، ما يشير إلى كثرتها ، فتشمل الأمور الاعتقادية ، و التعبدية ، والأخلاقية ، و الثقافية ، و السياسية . ولو كان مجتمعنا خاليا عن هذه الأمور لما وقع الفساد و الفوضى الذى يقع فى كثير من المجتمعات ، لأنه لم يبق فرق بين الصالح وغير الصالح ، و بين التدين و غير التدين ، و بين أن ينهج المنهج

الشرعى و ينهج المنهج غير الشرعى .

و فقكم الله لما فيه خيركم ويتقبل منكم ، و ينعم عليكم بأفضاله و بركاته ، و يرزقكم أن تذهبوا بهذه الأفضال و البركات إلى بلادكم التى ثبت حقها عليكم و سيدوم هذا الحق و إن استوطنتم مكانا آخر ، و بلداً بعيدا .

و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

****

وللمؤلف صدر حديثا:

المرتضى

سيرة أمير المؤمنين: سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرّم وجهه - في إطار قَبَليّ وشخصيّ وجماعيّ، ومبدئي وإداري. وفي ضوء دراسة تاريخية مقارنة محايدة، لما امتاز به من خصائص ومواهب وعبقريات، وتعاون جاد مخلص مع مَن سبقه في تولّي الخلافة، في صالح الإسلام والمسلمين، والسرّ في ما قدّره الله وحقّقه من توالي الخلفاء الراشدين بعضهم على إثر بعض، مع بيان جهود عظماء ذريته في قيادة المسلمين، ومحاولة تغيير صالح في منهج الحكم والإمارة، وإعادته إلى منهج الخلافة الراشدة، ودورهم الرائع البطولي في بلاد الإسلام وفي قرون مختلفة، في نشر الإسلام، وتزكية النفوس، وإصلاح المجتمع، وقيادة الحركات الجهادية والتحريرية في مختلف الأمكنة والأزمنة، مع نقد النظريات الدخيلة على الإسلام وتفنيد نسبتها إلى أهل البيت، واستغلالها لغايات مذهبية طائفية سياسية.

ملتزم النشر والتوزيع
المجمع الإسلامي العلمي
ندوة العلماء، ص.ب ١١٩ لكناؤ، الهند